الإمام السجاد (عليه السلام) وآثاره التربوية والإصلاحية
ـقراءة موجزة في تـراثه الفكريـ

الدكتور الشيخ عماد الكاظمي
الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية (لندن) فرع العراق

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على النبي المصطفى الأمين، وعلى آله الهداة المعصومين.

إنَّ التربية والإصلاح من أهم مقومات الشخصية الإنسانية، وهذا ما نراه في فطرته التي تبحث عن كُلِّ ما فيه من خير وصلاح، والشريعة الإسلامية المقدسة كان لها تأكيد كبير على الأخلاق والتربية من خلال الآيات المباركة والأحاديث الشريفة، فضلاً عن سيرة الأنبياء وأوصيائهم (عليهم السلام) في المجتمع، وهذا ما نراه بأدنى تأمل لنصوص الشريعة المقدسة، والقرآن كان الإمام الذي يهدي مَن اتبعه وتمسك بتعاليمه، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [1] وغيرها من الآيات الشريفة.

وإنَّ السنة الشريفة قد تضمنت موروثًا كبيرًا وعظيمًا من الأحاديث الشريفة في هذا الباب من أبواب المعرفة الإنسانية عن طريق النبي والأئمة (صلوات الله عليهم)، وخصوصًا التربوية والإصلاحية التي كانوا يحدِّثون بها الأمة، ويقومون بتربية أصحابهم عليها، لتكون منهجًا علميًا وعمليًّا في ذلك، ومن أولئك الأئمة المهديين الذين كان له تراث عظيم في ذلك هو الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) الذي فاض تراثه بالمعارف التربوية والأخلاقية، وهذا ما يمكن رؤيته بأدنى تأمل في تراثه العلمي الكبير، الذي تضمنته أدعية الصحيفة السجادية، ورسالة الحقوق، وأحاديثه المختلفة، التي تؤكِّد جميعها على مقام الإنسان ومنزلته في المنهج التربوي الإسلامي، وكانت سيرته (عليه السلام) ترجمانًا لذلك، فقد رأيناه في أعلى مكارم الأخلاق مع أصحابه وأعدائه، وهو يؤدي رسالته في المجتمع الإسلامي، فضلاً عن مقام خلافته لله تعالى في عباده، ونحاول في هذه الصفحات أنْ نتناول بعضًا من أحاديثه التربوية الشريفة ونبيِّنُ ما يتناوله في منهجه الإصلاحي للفرد والأمة، وبيان أهمية العمل بذلك على السلوك الفردي والجماعي، وحاولت في هذه الدراسة الجمع بين الرؤية القرآنية الخاصة في مجال التربية، والدراسات التربوية العامة، فضلاً عن قراءتي

التي أراها، من خلال ما سيتم طرحه باختصار شديد في كُلِّ ما يتعلق بأحاديثه، وقد حاولت تقسيم البحث على مباحث خمسة، بعد مقدمة وتمهيد، ثم خاتمة، فنحن -حقيقة- بأمس الحاجة إلى مثل هذه القراءات لتراث الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، بعد أنْ تعرضت الأمة إلى هجمات ثقافية مختلفة الاتجاهات، بعيدة عن الثقافة الإسلامية، تحاول كُلُّ واحدة منها أنْ تثبت نجاحها من خلال تجاربها في المجتمع الإسلامي، وهذا من أشد وأصعب ما تتعرضه الأمة وأبناؤها، وما يستوجبُ على العلماء والمفكرين والباحثين في مثل هذا الحال من الاهتمام لذلك، والاعتناء به، فضلًا عن الجامعات والمؤسسات والمراكز العلمية؛ لأهمية الأخلاق والتربية في سلوك الفرد والمجتمع، فإنْ ضاعت -لا سمح الله- فقد تم هدم كيانهما، وأصبحت تلك التعاليم التربوية الموروثة تراثًا لا حياة له كغيره من تراث الأمم الذي يُحفظ في المتاحف، وإنَّ مبادرة كلية الآداب / جامعة القادسية في مؤتمرها العلمي حول تسليط الضوء على حياة عظيم من عظماء البشرية، ومصلح من مصلحيها، وإمام من أئمتها لقراءة ما يتعلق به، وبتراثه الخالد، لهي خطوة عظيمة في سبيل أداء الجامعات دورها الفكري والتربوي في المجتمع، وخصوصًا بين طلبتنا الأعزاء، الذين هم قادة الأمة بعد أيام، فهي خطوة مباركة لإقامة مثل هذه المؤتمرات العلمية السنوية؛ لتكون سبيلاً للباحثين في المشاركة ببحوثهم النافعة للمكتبة الإسلامية، ولأبناء الأمة خصوصًا، وللبشرية كُلِّها عمومًا، وسأحاول في بحثي أنْ أقدم شيئًا بسيطًا فيما ورد من تراث الإمام السجاد (عليه السلام) التربوي عسى أنْ تكون مشاركتي نافعة لي ولإخواني من بني البشر، في هذه المحاولة الثالثة لقراءة تراثه التربوي الإصلاحي بعد أنْ وفقني الله تعالى في محاولتين سابقتين، قد يُفاد منهما في هذا البحث، فأتقدم ببالغ شكري وثنائي إلى السادة القائمين على أعمال المؤتمر، وأسأل الله تعالى أنْ يتقبل منهم هذه الجهود العظيمة بأحسن قبوله، إنه سميع الدعاء.

تمهيد: أثر التربية في بناء الفرد والمجتمع.

إنَّ الإسلام في تشريعاته قد ٱعتنى كثيرًا بتنظيم حياة الفرد والأسرة والمجتمع؛ لأنَّ الأول والثاني هم عماد بناء الثالث، فكان التشريع قد نظَّمَ جميع الجوانب التي يحتاجها الإنسان من كونه وحدة ٱجتماعية صغيرة، إلى كونه جزءً في تأسيس المجتمع، وهذه حقيقة يجب علينا بيانُها ووضْعُ نظامٍ معرفيٍّ لها، لإظهار تشريعات النظام الإسلامي في ذلك، إذ ترى كثيرًا من الآيات المباركة قد تضمنت ٱختصاص خطابها إلى الفرد في أهمية ٱمتثاله للتشريع حفاظًا عليه من كُلِّ سوء وٱنحراف، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[٢]، وآيات أخرى متعددة قد حددت وظيفة الفرد في جميع مجالات الحياة المادية والمعنوية التي لها أثر في بنائه وتكوينه، كالإيمان، والأمانة، والصدق، والحب، والبر وغيرها من المفردات الأخلاقية التي لها أثر في بناء شخصيته، وتربيته

تربية رصينة، وقد أكَّدت الدراسات التربوية أهمية هذا البناء الأول الذي يتقوَّم به المجتمع، فقالوا: ((إنَّ المجتمعَ وقوةَ بنيانِه، ودرجةَ تقدُّمِهِ وازدهارِهِ وتماسكِهِ ترتبطُ بالصحةِ النفسيةِ والاجتماعيةِ للفردِ، فالفردُ داخلُ المجتمعِ هو الأساسُ الذي يجبُ حمايتَهُ، وهو الهدفُ الذي يصيرُ إليهِ المجتمعُ، ولكي يكونَ الفردُ عضوًا فاعلاً في تحقيق التقدُّمِ الاجتماعيِّ لا بُدَّ من الاهتمامِ بتنشئتِهِ الاجتماعيةِ)). (٣)

إنَّ فيما يتعلق بالمجتمع وبنائه بناءً عقائديًّا وتربويًّا فالتشريع قد أكَّد ذلك في كثير من جوانب الحياة، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾(٤)، فضلاً عن الأحاديث الكثيرة التي حثت على التراحم والتزاور والتعاون واحترام حقوق الآخرين، مهما كان انتماؤهم، بل كان أساس العلاقات قائم على احترام الإنسان وتكريمه والحفاظ عليه شاهدًا أو غائبًا، فجعل لهم حقوق متبادلة يجب مراعاتها فيما بينهم (٥)، وهذا من أعظم ما بيَّنه التشريع الإسلامي في الحفاظ على المجتمع وتربيته، لأداء دوره التربوي والإصلاحي من خلال نظامه؛ لأنَّ الإنسان مستعد لذلك بفطرته التي أودعها الله تعالى فيه، وهذا ما تذهب إليه بعض المذاهب التربوية النفسية، فقد ورد عنهم: ((إنَّ الإنسانَ خيِّرٌ بطبعهِ، وإنَّ ما يتلقَّاهُ من عدوانيةٍ وأنانيةٍ بمثابةِ أعراضٍ مرضيةٍ، هي نتيجةُ ما يتلقَّاهُ الفردُ من إحباطاتٍ مختلفةٍ، أو إنكارٍ لحقِّهِ في أنْ يحققَ إنسانيتَهُ، وقد يُساءُ توجيهُ الفردِ، أو يُحالُ بينهُ وبينَ الحياةِ العاديةِ الصحيحةِ، نتيجةَ الصعوباتِ والتحدياتِ التي يواجهها)). (٦)

إنَّ أهمية كُلِّ ما تقدم تكون واضحة تمامًا عندما يتم ربط هذه العلاقات الثلاث فيما بينها ارتباطًا قائمًا على منهج تربويٍّ يستقي منها نظامه التكاملي في التربية الاجتماعية الأخيرة، بعد تجاوزه التربيتين الأوليين الفردية والأسرية، وقد أكَّد الباحثون التربويون أهمية تلك العلاقات في بناء النظام الاجتماعي، فقالوا: ((يقومُ المجتمعُ على جهدِ كُلِّ عضوٍ من أعضائِهِ؛ لتحقيق الكفايةِ التي تشبعُ حاجاتِهم، ذلكَ أنَّ الأعضاءَ يرتبطونَ بالأعضاءِ والجماعاتِ التي تساهِمُ في تقدمهم، وتحققُ شعورَهُمْ بالكفايةِ كالأسرةِ مثلاً، مما يؤدي إلى التوافق المتبادلِ بينَ سلوكِ الأشخاصِ نتيجةَ الاستجاباتِ المشتركةِ بينَ الأفرادِ والجماعاتِ، بالصورةِ التي توفِّرُ لهم الوحدةَ النفسيةَ، والروحَ الجماعيةَ التي تعدُّ العاملَ الجوهريَّ في نشاطِ المجتمعِ)). (٧)

فالتربية لها أثر كبير في بناء المجتمع بناءً تربويًّا وعقائديًّا، وقد اعتنى المسلمون بذلك من خلال المؤلفات الكثيرة التي حاولت بيان تلك العلاقات وأهميتها وأثرها الفردي والاجتماعي. (٨)

وإنَّ ما يتعلق بالإمام السجاد (عليه السلام) وما ورد عنه من آثار تربوية في بناء الإنسان والمجتمع وصلاحهما فهي كثيرة، وكان من أعظمها تلك الرسالة العظيمة المشهورة بـ"رسالة

الحقوق" التي تضمنت حقوق وواجبات لها أعظم الآثار التربوية والإصلاحية، فإنَّه وضمن منهجه في تربية الإنسان وٱستثمار طاقاته التي أودعها الله فيه، يحاول أنْ يضع له نظامًا تكامليًّا في تنظيم علاقات معينة في مجال تربية النفس وتكاملها، سواء على المستوى الفردي في علاقاتها المتعلقة بالذات، أم على المستوى الجماعي في علاقاتها المتعلقة بالمجتمع، وفي ذلك ٱمتداد لمنهج الثقلين – القرآن والعترة– في التربية والإصلاح على المستويين العلمي والعملي، وفي النظرية والتطبيق، وسوف أحاول –بتواضع– بيان بعض تلك العلاقات من خلال بيان ما يتعلق بها من الناحية التربوية والعقلية والشرعية، ثم بيان آثارها العملية في سلوك الإنسان؛ لنكون على بينة وإحاطة من رسالة الإمام السجاد التربوية الإصلاحية، في سبيل الوصول إلى أعلى درجات التكامل النفسي والاجتماعي، وهذا ما سيكون من خلال دراسة معرفية لحديث واحد من أحاديثه التربوية (عليه السلام)، إذ يقول: لبعض بنيه: ((يَا بُنَيَّ، ٱنْظُرْ خَمْسَةً فَلا تُصَاحِبْهُمْ، وَلا تُحَادِثْهُمْ، وَلا تُرَافِقْهُمْ فِيْ طَرِيْقٍ. فَقَالَ: يَا أَبَهْ مَنْ هُمْ؟ قَالَ (عليه السلام): إِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْكَذَّابِ، فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ السَّرَابِ يُقَرِّبُ لَكَ الْبَعِيْدَ، وَيُبَعِّدُ لَكَ الْقَرِيْبَ. وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفَاسِقِ، فَإِنَّهُ بَايِعُكَ بِأَكْلَةٍ أَوْ أَقَلِّ مِنْ ذَلِكَ. وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْبَخِيْلِ، فَإِنَّهُ يَخْذُلُكَ فِيْ مَالِهِ أَحْوَجُ مَا تَكُوْنُ إِلَيْهِ. وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةُ الْأَحْمَقَ، فَإِنَّهُ يُرِيْدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ. وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةُ الْقَاطِعِ لِرَحِمِهِ. فَإِنِّيْ وَجَدْتُهُ مَلْعُوْنًا فِيْ كِتَابِ اللهِ)). (٩)

فالحديث يبيِّن جانبًا من جوانب العلاقات الاجتماعية التي هي بحاجة إلى تنظيم قائم على أُسُسٍ معرفية، وقد تناول بيان علاقات خمس مهمة، من الناحيتين الإيجابية والسلبية، وإنْ كان الحديث قد ذكر بألفاظه الجانب السلبي، ولكنه أشار بمضمونه إلى الجانب الإيجابي، وفي هذا حقيقة توجه من توجهات التنمية البشرية في المصطلح الحديث لاستثمار طاقة الإنسان، فهو يبين الآثار السلبية لهذه الصفات على سلوك الإنسان الفردي والاجتماعي، ويحذر من آثاره، ويؤكد أهمية التحلي بما يقابل هذه الصفات من صفات إيجابية، كما أكَّدت عليها الشريعة المقدسة، المقررة لقواعد السلوك العقلي، أو لما ٱتفق عليه العقلاء في بناء العلاقات الفردية والاجتماعية، وهذه أعظم ميزة في المنهج التربوي الإسلامي؛ لذا سيحاول الباحث في وضع عنوانات تربوية في الجانب الإيجابي لكُلِّ علاقة من العلاقات الخمسة الواردة في الحديث، لمناقشة البناء الإيجابي وآثاره من جهة، وبيان الآثار السلبية لكُلٍّ منها كما تضمنها لفظ الحديث، ولا يخفى أهمية الترغيب في الجانب التربوي.

إنَّ هذا المنهج –حقيقة– نراه في كثير من أحاديث ووصايا النبي والأئمة (عليهم السلام) للمسلمين، وغايته الحفاظ على كثير من الروابط الفردية والاجتماعية، من خلال تربية وتنشئة مجتمع، قائم على العلم والعمل تدريجيًّا، يتوصل من خلالها الإنسان إلى معرفة كثير من الحقائق، فالإنسان هو العامل الأساس في بناء المجتمع، ويجب أنْ يكون هناك ٱعتناء كبير في إيجاد أنظمة

وتشريعات للحفاظ عليه، وأنَّ النظام الإسلامي هو نظام كامل له القدرة على ذلك، ماديًّا ومعنويًّا، وقد قرر التربويون أهمية ٱكتشاف الإنسان ذاته مهما كانت قدراته ومهاراته، والكشف عما لديه من مواهب وٱستعدادات، حتى يثبت وجوده في المجتمع، فيكون عنصرًا فاعلاً فيه. (١٠)

فنسأله تعالى أنْ تكون محاولة في نشر آثار الثقلين التربوية؛ للوصول إلى مجتمع متكامل تربويًّا، له القدرة على نشر الفضيلة والصلاح فيما بينه أولاً، وإيصال رسالته إلى المجتمعات الأخرى بعد ذلك ثانيًا؛ لنكون حقيقة رحمة للعالمين، كما كان النبي وأهل بيته (عليهم السلام).

- المبحث الأول: الصدق وآثاره.

إنَّ هذه العلاقة الأولى التي يجب على الإنسان أنْ يتحلَّى بها أولًا، وتربط علاقته على أساسها مع الآخرين آخرًا، فالصدق من أعظم مكارم الأخلاق التي تبتهج النفس به، وتصبو إليه، وكُلُّ مَنْ يتصف بهذه الصفة يكون ذا مقام في المجتمع، وقد أجمع العقلاء على أهمية وعظمة هذه الصفة في الإنسان السوي، وهي موافقة للفطرة الإنسانية، وقد وردت في مدحها والتأكيد عليها أقوالٌ كثيرة، فضلاً عن كونها أساس التربية الأولى للإنسان في نشأته، والتي تعد من أهم مفردات التربية التي يحصل عليها الإنسان من البيئة الأولى التي ينشأ في أحضانها، وهما الأبوان اللذان يستقي منهما تلك المعاني السامية للأخلاق، والصدق قد يكون بالقول، فتكون أقواله صادقة، وقد يكون بالفعل، فتكون أفعاله صادقة، وقد تكون بالقول والفعل، حيث تصدق الأفعال الأقوال، وهذه أعلى درجات الكمال الأخلاقي الذي يجب أنْ يكون الإنسان عليه في سيرته الفردية أو الاجتماعية، وقد حث علماء الأخلاق على ذلك.

إنَّ الصدق واضح المعنى معروف لدى الناس، وهو يقابل الكذب، وقد يُقال أنه لا يحتاج إلى تعريف، ولكن يخفى على كثير أنَّ الصدق له معانٍ تتعدى مطابقة القول للواقع، قال "ٱبن منظور" (ت٧١١هـ/١٣١١م): ((الصِّدْقُ نَقِيْضُ الْكَذِبِ، صَدَقَ يَصْدُقُ صَدْقًا، وَصِدْقًا، وَتَصْدَاقًا، وَصَدَّقَهُ قَبِلَ قَوْلَهُ وَصَدَقَهُ الْحَدِيْثَ، وَرَجُلٌ صِدْقٌ وَٱمْرَأَةٌ صِدْقٌ وُصِفَا بِالْمَصْدَرِ، وصِدْقٌ صَادِقٌ كَقَوْلِهِمْ شِعْرٌ شَاعِرٌ يُرِيْدُوْنَ الْمُبَالَغَةَ وَالإِشَارَةَ، وَالصِّدِّيْقُ الدَّائِمُ التَّصْدِيْق، وَيَكُوْنُ الَّذِيْ يُصَدِّقُ قَوْلَهُ بِالْعَمَلِ، وَفِيْ التَّنْزِيْلِ ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ أَيْ مُبَالِغَةٌ فِيْ الصِّدْق)) (١١)، وقال "الراغب الأصفهاني" (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م): ((الصدقُ والكذبُ أصلُهُما في القولِ ماضيًا كانَ أو مستقبلًا، وعدًا كانَ أو غيرُهُ، والصدقُ مطابقةُ القولِ الضميرَ، والمخبرَ عنهُ معًا، ومتى ٱنخرمَ شرطٌ من ذلكَ لم يكنْ صدقًا تامًّا، بل إمَّا أنْ لا يوصَفَ بالصدق، وإمَّا أنْ يوصَفَ تارةً بالصدق، وتارةً بالكذبِ على نَظَرينِ مختلفَيْن)). (١٢)

من خلال ما تقدم من كلمات في تعريف الصدق، نرى أنَّ حقيقته هو مطابقة الفعل أو القول للاعتقاد، وهو ما يُعْرَف بمطابقة الواقع، والكذب عكسه، وهذا المصطلح معروف لدى الناس عامة

أنه عدم الكذب، أو عدم المخالفة عمومًا في القول، ولكن قد لا يلاحظ أنَّ الصدق تكون أعلى درجاته في السلوك الظاهر والباطن عامة، سواء أكان في القول أم الفعل أم الضمير، وهذا ما يمكن قراءته في التعريف، ويجب على الإنسان إنْ أراد أعلى درجات الكمال المحافظة على معان الصدق من جميع جوانبه؛ ليكون الصدق ملكة [١٣] فيه راسخة.

فعلى أساس ما تقدم فقد تم معرفة الكذب بكُلِّ أشكاله المقابلة للصدق، من غير أنْ نرجع إلى تعريفه، وبيان ما يتعلق به؛ لأنه نقيض الصدق كما تقدم.

ولأجل الإحاطة بمصطلح الصدق وما يقابله وهو الكذب كما ورد ذكره في الرواية نحاول بإيجاز أنْ نسلط الضوء على ذلك من خلال مطلبين.

إنَّ الصدق من الصفات الممدوحة، ومن مكارم الأخلاق التي حثت عليها الشريعة المقدسة، وهي صفة يحسنها العقل الفطري ٱبتداء، سواء ورد فيها نص شرعي أم لم يرد، كما أنَّ الكذب صفة مذمومة، ولمَّا كانت الشريعة المقدسة من أعظم غايتها الحفاظ على الفطرة الإنسانية مما يلوِّثها، فقد تم تنظيم ذلك في النظام الإسلامي، كما أشار تعالى إلى سموِّ هذه الغاية من الشرائع المقدسة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [١٤]، فالتزكية هي طهارة النفس من رذائل الأخلاق، وتحليتها بالفضائل التي تليق بها، وهذه من أهم غايات البعثة، وكان الأنبياء (عليهم السلام) يؤدُّون هذا رسالتهم على أحسن ما يكون، بل يبذلون من أجلها كُلَّ شيء؛ لإنقاذ المجتمع من الضلال والضياع، قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾. [١٥]

والشريعة الإسلامية المقدسة قد أكدت على عظمة الصدق وأهميته، ووجوب التخلق به في النظام الإسلامي، مع بيان آثاره في التربية، وكذلك الأمر فيما يقابله من الكذب والتحذير منه، ونحاول بإيجاز أنْ نقتصر على بعض الموارد.

* أولاً: القرآن الكريم:

- قال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. [١٦]

فالآية الشريفة ظاهرة في بيان أثر الصدق في الآخرة والمنزلة الرفيعة التي أعدها الله تعالى؛ لصدقه في تعامله مع الله تعالى، وٱنعكاس هذا الصدق على التربية الفردية والاجتماعية، من الناحيتين الدينية والدنيوية، قال الشيخ "الطبرسي" (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) في تفسيره بما يتعلق

بالصدق في الآية الشريفة: ((يعني ما صدقوا في في دارِ التكليفِ؛ لأنَّ يومَ القيامةِ لا تكليفٌ فيهِ على أحدٍ، ولا يخبرُ أحدٌ فيه إلا بالصدق)).(١٧)

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. (١٨)

إنَّ الآية الشريفة تبيِّن للمؤمنين منهج الدعوة والعلاقة مع الله تعالى، ومع أوليائه وعباده، من خلال التأكيد على أمرين مهمين (التقوى والصدق)، وكلاهما لهما أعظم الآثار التربوية للفرد والمجتمع، قال "الفخر الرازي" (ت٦٠٤هـ/١٢٠٧م) بعد بيانه لآراء ومناقشتها في المراد من "الصادقين": ((المسألة الثانية: الآية دالة على فضل الصدق وكمال درجته، والذي يؤيده من الوجوه الدالة على أنَّ الأمر كذلك وجوه: الأول: روي أنَّ واحدًا جاء إلى النبي "عليه السلام" وقال: إني رجل أريد أنْ أومن بك، إلا أنَّي أحبُّ الخمر والزنا والسرقة والكذب، والناس يقولون إنَّك تحرِّمُ هذه الأشياء، ولا طاقة لي على تركها بأسرها، فإنْ قنعتَ مِنِّي بترك واحد منها آمنتُ بك، فقال "عليه السلام" اُترك الكذب. فقبل ذلك ثم أسلم، فلما خرج من عند النبي "عليه السلام" عرضوا عليه الخمر. فقال: إنْ شربتُ وسألني الرسول عن شربها وكذبتُ فقد نقضتُ العهدَ، وإنْ صدقتُ أقام الحد عليَّ فتركها. ثم عرضوا عليه الزنا. فجاء ذلك الخاطر فتركه. وكذا في السرقة. فعاد إلى رسول الله "صلى الله عليه وسلم" وقال: ما أحسنَ ما فعلتَ، لَمَّا منعتني عن الكذب اُنسدَّتْ أبواب المعاصي عليَّ، وتاب عن الكُلِّ)). (١٩)

* ثانيًا: السنة الشريفة:

إنَّ الروايات الشريفة التي أكدت على عظمة الصدق ومحبوبيته كثيرة جدًّا، وكذا الأمر فيما يقابله من الكذب، وفي ذلك إشارة إلى وحدة المنهج بين الثقلين (القرآن والعترة)، ونذكر من تلك الروايات:

- روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((الجمالُ صوابُ القولِ بالحقِّ، والكمالُ حسنُ الفِعالِ بالصدق)). (٢٠) فهذه دعوة تأكيدية من النبي لبيان حقيقة الجمال والكمال لمن أراد أنْ يتحلى بهما، فالجمال والكمال اللذان هما من الصفات الحسنة التي يجب أنْ يكون عليها الإنسان بصورة عامة، والمسلم خاصة، إنما طريق الوصول إليهما بالصدق في القول والفعل، وهذه أعلى درجات التكامل في الصدق، كما تقدم عند بيان حقيقة الصدق.

- روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إنَّ أشدَّ الناسِ تصديقًا للناسِ أصدقُهُم حديثًا، وإنَّ أشدَّ الناسِ تكذيبًا أكذبُهُم حديثًا)). (٢١) والحديث واضح البيان والمعاني في تطابق الإيمان مع العمل، وأثره على السلوك، فضلًا عن بيانه للمقابلة بين الصدق والكذب كما تقدم.

– روي عن الإمام علي (عليه السلام): ((الصدقُ رأسُ الإيمانِ، وزينُ الإنسانِ)). [٢٢] فهذه الرواية تؤكد علاقة الصدق بالإيمان وما يترتب على ذلك من سلوك فردي وجماعي، وعلاقته بالإنسان بصورة عامة، وأنه من موارد زينته التي يتزيَّنُ بها أمام الآخرين، ويفخر بهذه الصفة، ويفخرون بصاحبها.

ومما ورد في آثار الصدق في الدنيا والآخرة، أنه مبارك، والكذب مشؤوم، وأنه باب من أبواب الجنة، وأنَّ الله مع الصادق، وأنه سبب لتزكية الأعمال، وأنه أمانة والكذب خيانة، وأنه سبيل النجاة، وأنه من أقوى دعائم الإيمان، وأنه طريق الكرامة والكذب طريق المهانة إلى غيره من الآثار العظيمة. [٢٣]

وأخيرًا فقد عدت بعض الروايات الشريفة الصدق مقياس الإيمان والمفاضلة بين المؤمنين، من دون غيره من العبادات الشرعية التي يقوم بها المؤمن، فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لا تنظروا إلى كثرةِ صلاتِهم، وصومِهم، وكثرةِ الحجِّ، والمعروفِ، وطنطنتِهم بالليلِ، ولكنِ ٱنظروا إلى صدق الحديثِ، وأداءِ الأمانةِ)) [٢٤]، وفي الحديث ما لا يخفى من عظمة السلوك الإنساني التربوي، وأهمية مطابقة القول والعمل، وآثار ذلك في المجتمع، من بناء عقائدي وأخلاقي وتربوي.

وقد تركت الآيات والروايات التي بينت ما يتعلق بالكذب تأكيدًا للمنهج الذي أحاول ٱتباعه في البحث من عرض الجانب الإيجابي لفضائل الأخلاق، وترك رذائلها، إذ يمكن الرجوع إليها، فإنها معروفة بالمقابلة بين الفضيلة والرذيلة، فضلًا عن أهمية عرض الجانب الإيجابي على النفس الإنسانية، وتنمية القدرات فيها، ولكني أذكر حديثًا واحدًا للتذكير بمساوئه، فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إياكُمْ والكذبَ فإنَّهُ معَ الفجورِ، وهما في النارِ)) [٢٥]، بل هو الخيانة نفسها، وهو شر القول، وأعظم خطايا اللسان، وأنه مفارق للعقل، وأنه سبيل النفاق، وأنه سبب البعد عن الله تعالى، وأنه قرين للشيطان إلى غير ذلك من رذائل الصفات. [٢٦]

إنَّ أهمية الصدق في التعامل مطلقًا وأثرها في الروابط الاجتماعية كانت من أهم الأسباب التي حذَّر الإمام السجاد من نقيضه وهو الكذب، حيث قال في تحذيره كما في حديثه المتقدم: ((إِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْكَذَّابِ، فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ السَّرَابِ يُقَرِّبُ لَكَ الْبَعِيْدَ، وَيُبَعِّدَ لَكَ الْقَرِيْبَ))، فقد تبيَّن لنا أهمية هذا التحذير أولًا، وآثاره ثانيًا، وعلاقته بالخيانة ثالثًا، فالكاذب هو الذي لا يعكس الصورة الحقيقية لصاحبه.

- المبحث الثاني: الإيمان وآثاره.

إنَّ الإيمان بالله تعالى والتمسك بأحكام الشريعة له أثر كبير في تهذيب النفس الإنسانية وتربيتها تربية صالحة، تعكس ذلك على الشخصية الإسلامية، وحديث الإمام السجاد (عليه السلام) قد حذَّر من مصاحبة الفاسق؛ لما فيه من آثار سيئة على الفرد والمجتمع، ونتحدث عن الإيمان في هذه المبحث لما يقابل الفسق بالمعنى الأعم وهو الطاعة والانقياد لأمر الله تعالى، لا المعنى الأخص الذي يقابل العدالة كما يذهب إليه في علم الحديث [٢٧]، فالفسق كما تم تعريفه هو: ((التَّرْكُ لِأَمْرِ اللهِ، وَفَسَقَ يَفْسُقُ فِسْقًا وَفُسُوْقًا، وَكَذَلِكَ الْمَيْلُ إِلَى الْمَعْصِيَةِ كَمَا فَسَقَ إِبْلِيْسُ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)) [٢٨]، وقال "الراغب الأصفهاني": ((فسقَ فلانٌ خرجَ عن حجرِ الشرعِ، وذلكَ من قولهِمْ فسقَ الرطبُ إذا خرجَ عن قشرِهِ، وهو أعمُّ من الكفرِ، والفسقُ يقعُ بالقليلِ من الذنوبِ وبالكثيرِ، لكن تعورِفَ فيما كانَ كثيرًا، وأكثرُ ما يقالُ الفاسقُ لمَنِ ٱلتزمَ حكمَ الشرعِ وأقَرَّ بهِ ثم أخَلَّ بجميعِ أحكامِهِ أو ببعضِهِ، وإذا قيلَ للكافرِ الأصلي فاسقٌ فلأنَّهُ أخَلَّ بحكمِ ما ألزمَهُ العقلُ وٱقتضتهُ الفطرةُ)) [٢٩]، ومما ورد في بيان المراد من الإيمان: ((والإيمانُ يستعملُ تارةً ٱسمًا للشريعةِ التي جاءَ بها محمدٌ "عليه الصلاة والسلام"، ويوصفُ به كُلُّ مَنْ دخلَ في شريعتهِ مُقِرًّا باللهِ وبنبوتِهِ، وتارةً يستعملُ على سبيلِ المدحِ ويرادُ به إذعانُ النفسِ للحقِّ على سبيلِ التصديق، وذلكَ باجتماعِ ثلاثةِ أشياءٍ: تحقيقٌ بالقلبِ، وإقرارٌ باللسانِ، وعملٌ بحسبِ ذلكَ بالجوارحِ)). [٣٠]

فالتعريف واضح البيان في أنَّ الإيمان يقابل الفسق بالمعنى الأعم كما تقدم، لذا نبيِّنُ ما يتعلق بآثار الإيمان على الشخصية، ودورها في بناء العلاقات الاجتماعية، والوصول إلى مجتمع متكامل في مكارم الأخلاق من خلال بيان عظمة الإيمان في الشريعة المقدسة، وأهميته، ومقامه، وما يترتب عليه.

إنَّ الشريعة المقدسة قد آعتنت كثيرًا جدًّا فيما يتعلق بالإيمان، وأثره على الإنسان بصورة عامة، وعلى المسلم بصورة خاصة؛ وذلك لأهمية العقيدة في حياة الإنسان، وقد كتبت في ذلك مؤلفات خاصة كثيرة، ونحاول بإيجاز أن نذكر بإيجاز مقام الإيمان من خلال مصدرَيِ الشريعة المقدسة في نظامها التكاملي الإنساني.

* أولاً: القرآن الكريم.

إنَّ القرآن الكريم في كثير من آياته قد أكَّد على ما يتعلق بالإيمان من جوانب متعددة، من حيث الاعتقاد، والمقام، والآثار، وصفات المؤمنين، ودرجاتهم، ومنزلتهم في الدنيا والآخرة وغير ذلك، ومن تلك الآيات الشريفة نذكر:

– قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (٣١)، فالآية المباركة تبين عظمة الإيمان ومقامه عند الله عز وجل؛ لذلك قد جعل فيه مقامين معنويين فطريين مهمين لمن يعتقد به، وهما (الحب والزينة)، فالإنسان بطبيعته السليمة يحتاج إلى عقيدة يؤمن بها، ليكون بناء شخصيته على أساسها، وأعظم بناء للشخصية عندما يكون مرتبطًا بالخالق المنعم عليه، فتكون العقيدة حينئذ مصدر حب في التوجه إلى الخالق والمخلوقين، ومصدر زينة وسرور في الطاعات، وكذلك الآية قد أشارت إلى ما يقابل الإيمان وما يتعلق به، قال "الزمخشري" (ت٥٣٧هـ/١١٤٣م) فيما يتعلق بنصر المؤمنين بأنه: ((تعظيمٌ للمؤمنينَ، ورفعٌ من شأنهِمْ، وتأهيلٌ لكرامةٍ سنيَّةٍ، وإظهارٌ لفضلِ سابقةٍ ومزيَّةٍ، حيثُ جعلَهُمْ مستحقينَ على اللهِ أنْ ينصرَهُمْ، مستوجبينَ عليه أنْ يظهرَهُمْ ويظفرَهُمْ)) (٣٢)، ونصر الله تعالى للمؤمنين قد أكدت عليه آيات أخرى وروايات شريفة متعددة، فالمؤمن له مقام عظيم عند الله تعالى، فهو وليه، وناصره، ومحبه، ومعه، ومنجيه، والمدافع عنه، ويكفيه فخرًا أنه قد وعده بالدفاع عنه مهما تعرَّض إلى أذى وبلاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾. (٣٣)

وفي مقابل هذا المقام للمؤمنين، قال تعالى في الفاسقين: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٣٤)، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. (٣٥)

* ثانيًا: السنة الشريفة.

إنَّ الروايات الواردة في بيان مقام الإيمان وعظمته وآثاره كثيرة، وكلها تؤكد أهمية الارتباط العقائدي بين الإنسان وخالقه، وانعكاس ذلك على النفس الإنسانية وتربيتها، ودوره في إقامة العاقات الاجتماعية القائمة على أُسس ومبادىء، لا يمكن لصاحبه أنْ يضحي بها أما الشهوات واللذات المادية الدنيوية، بل يحافظ عليها مهما كان ثمن ذلك، ونذكر بعض تلك الروايات الشريفة التي تبيِّن حقيقة الإيمان وآثاره:

– روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أفضلُ الإيمانِ أنْ تحبَّ للهِ، وتبغضَ للهِ، وتُعْمِلَ لسانكَ في ذكرِ اللهِ عز وجل، وأنْ تحبَّ للناسِ ما تحبُّ لنفسِكَ، وتكرهَ لهم ما تكرهُ لنفسِكَ، وأنْ تقولَ خيرًا أو تصمتَ)) (٣٦)، إنَّ في الحديث إشارة واضحة إلى أهمية الإيمان على الفرد أنْ تجعل من نفسه ميزانًا للتعامل مع الآخرين، يقوم على أساس تبادل المحبة والكراهة للآخرين بما يكون لنفسه، وفي ذلك كمال العلاقات الصادقة، القائمة على الإيمان، من خلال الإيثار لحوائج الإخوان.

– روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((المؤمنُ منفعةٌ، إنْ ماشيتَهُ نَفَعَكَ، وإنْ شاورتَهُ نفعكَ، وإنْ شاركتَهُ نفعكَ، وكُلُّ شيءٍ من أمرِهِ منفعةٌ)) (٣٧)، إنَّ الحديث يبيِّن أثر الإيمان في التربية الفردية والاجتماعية، فالمؤمن مصدر منفعة بالنسبة للآخرين، فلا يجعل تحقيق رغبات نفسه على أساس الآخر، بل يتبادل معه المعاني والمبادىء الإنسانية، والإيمانية السامية.

– روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((المؤمنُ حليمٌ لا يجهلُ، وإنْ جُهِلَ عليه يحلَمُ، ولا يَظلمُ، وإنْ ظُلِمَ غفرَ، ولا يَبْخَلُ، وإنْ بُخِلَ عليهِ صبرَ)) (٣٨)، وهذا الحديث يظهر لنا صفات ثلاث مهمة، يجب أنْ تكون على أساسها العلاقة بين الناس، وخصوصًا المؤمنين منهم، فالحلم والصفح والصبر من أهم الأُسس التي يجب أنْ يتم تبادلها بين الأصحاب، وهذا ما نراه في المؤمن.

إنَّ هذه الأحاديث الشريفة الثلاثة تظهر مقام الإيمان، وما يترتب عليه، وهي آثار عظيمة، ومهمة جدًّا في بناء المجتمع، وإنَّها تؤكِّد شدة تحذير الإمام السجاد (عليه السلام) من مصاحبة الفاسق؛ لكونه لا يمتلك أي صفة أخلاقية تردعه عن الشر والسوء والعدوان، فلا يكون ناصرًا لصاحبه المؤمن في أي موقف من المواقف التي تحتاج إلى نصرة وتعاون، بل يبحث عن مصلحته الفردية وأنانيته، وتحقيق شهوته ولذته، وإنْ كانت على حساب علاقته مع صاحبه، وقد مَثَّل الإمام عن سفاهة ذلك بقوله: ((فَإِنَّهُ بَايعُكَ بِأَكْلَةٍ أَوْ أَقَلِّ مِنْ ذَلِكَ)).

ختامًا فإنَّ العقل يوافق الشرع في أهمية العقيدة والإيمان في تهذيب سلوك الفرد من خلال ألتزام الأنظمة الإلهية التي تنظم الحياة العامة للأمة، ومن ذلك العلاقات الاجتماعية المختلفة، القائمة على المحبة والتعاون، والتضحية والإيثار، يقول الأستاذ "عباس ذهيبات": ((إنَّ العقيدةَ الإسلاميةَ لها فضلٌ كبيرٌ على مناهجِ التربيةِ التي تسعى لبناءِ الإنسانِ؛ لتأكيدها على دورِ الإيمانِ والعلمِ معًا في بناءِ شخصيةِ الإنسانِ .... على أنَّ أشدَّ ما يسترعي الانتباهَ أنَّ ذلكَ الإنسانَ الجاهليَّ الدائرَ حولَ حولَ ذاتهِ ومنافعها قد غَدَا بتفاعلهِ مع إكسيرِ العقيدةِ يضحِّي بالنفسِ والنفيسِ في سبيلِ دينهِ ومجتمعهِ، وبلغتْ آفاقُ التحوُّلِ في نفسهِ إلى المستوى الذي يُؤثرُ فيهِ مصالحَ أبناءِ جنسهِ على منافعِ نفسهِ)). (٣٩)

– المبحث الثالث: الكرم والسخاء وآثارهما.

إنَّ الكرم والسخاء من الصفات الممدوحة، التي لها أثر في تهذيب النفس، والوصول بها إلى مكارم الأخلاق، وقد حث العقل على مقام الكرم والسخاء، سواء في الجوانب المادية أم المعنوية، فضلاً عن تأكيد الشريعة المقدسة على ذلك، وتقابل هذه الفضيلة صفة البخل، والتي هي من الرذائل كما ورد ذلك في مباحث علم الأخلاق، وقد يتصوَّر أنَّ الكرم يقال في ما يتعلق بتقديم الأموال إلى

الآخرين، ولكنه ينطبق على ما هو أعمق وأبعد من ذلك فيما يتعلق بالأخلاق والسجايا أيضًا، وهذا ما أكده العلماء في بيانهم لمعنى الكرم، قال "الراغب الأصفهاني": ((الكرمُ إذا وُصِفَ اللهُ تعالى به فهو اسمٌ لإحسانِهِ، وإنعامِهِ المتظاهِرِ، نحو قوله: ﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [٤٠]، وإذا وُصِفَ به الإنسانُ فهو اسمٌ للأخلاق والأفعالِ المحمودةِ التي تظهرُ منهُ .... والإكرامُ والتكريمُ أنْ يوصَلَ إلى الإنسانِ إكرامٌ، أي نفعٌ لا يلحقُهُ فيهِ غضاضةٌ)) [٤١]، إنَّ هذا القول فيه تأكيد على أنَّ الكرم يشمل الأخلاق والصفات الحسنة، وليس المال فقط، وفي ذلك آثار مهمة على النفس، وقال الشيخ "الطريحي" (ت ١٠٨٥هـ/١٦٧٤م): ((والكريمُ صفةٌ لكُلِّ ما يُرضي ويُحمدُ، ومنهُ وجهٌ كريمٌ أي مرضيٌّ في حسنهِ و بهائهِ، وكتابٌ كريمٌ: مرضيٌّ في معانيهِ .... والكريمُ هو الجامعُ لأنواعِ الخيرِ والشرفِ والفضائلِ، والكرمُ إيثارُ الغيرِ بالخيرِ)) [٤٢]، وفي قوله (والكرمُ إيثارُ الغيرِ بالخيرِ) واضح الدلالة في انطباقه على الأمور المادية والمعنوية، ولكن على الرغم مما تقدم فإنَّ حديث الإمام السجاد (عليه السلام) وتحذيره من مصاحبة البخيل يراد به ما يتعلق بالمال من دون غيره من المصاديق الأخرى، والبخل معروف في مقابلته للكرم، كما ورد في كلمات الأعلام، قال "ابن منظور": ((والبَخْلُ وَالبُخُولُ ضِدَّ الْكَرَمِ، وَقَدْ بَخِلَ يَبْخَلُ بُخْلًا وبَخَلًا فَهُوَ بَاخِلٌ ذُوْ بُخْلٍ، وَالْجَمْعُ بُخَّالُ وَبَخِيْلُ وَالْجَمِيْعُ بُخَلاءُ)). [٤٣]

ولبيان ما يتعلق بأهمية الكرم وأثره على المستويين الفردي والاجتماعي، نحاول بإيجاز بيان ذلك من خلال تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة، فإنها قد أَولَت اهتمامًا كبيرًا في تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الناس عامة، والمسلمين خاصة، والنصوص في ذلك كثيرة جدًّا، وفيما يتعلق بتهذيب النفس من الأخلاق غير المرضية ومنها البخل، ومعالجة ذلك بالتحلي بفضائل الأخلاق فيما يقابل ذلك بالكرم، فهناك نصوص من القرآن والسنة قد أكدت عليهما؛ لأهمية ذلك وأثره على تنظيم تلك العلاقات، ونحاول بإيجاز شديد بيان ما يتعلق بهما:

* أولاً: القرآن الكريم:

إنَّ القرآن الكريم قد عالج هذه الأمراض الخُلُقية في عدد من الآيات المباركة؛ لأهمية ذلك في الأخلاق العامة، التي توافق الفطرة الإنسانية، وتدعو إليها الطبيعة البشرية، ومن تلك الآيات قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [٤٤]

إنَّ الآية المباركة في مجال بيان بعض موارد الحكمة في تهذيب النفس، وهو الابتعاد عن البخل والتبذير لما فيهما من آثار سيئة وعواقب وخيمة على الإنسان، وفي ذلك دعوة إلهية نحو تكامل النفس وإيجاد السبيل الأوسط في التعامل مع الآخرين دون الإسراف والبخل، وهذا هو منهج عقلي نرى أن الشريعة تؤكد عليه، فكل المجتمعات والعقلاء يرون أنَّ التبذير هو من الجهل والسفاهة، وأنَّ البخل من الجشع والتكالب على الدنيا، وفي كلا الحالين نرى أسوء الأثر على النفس

الإنسانية [٤٥]، قال السيد "الطباطبائي" (ت١٤٠٣هـ/١٩٨٢م) في تفسيره: ((جعلُ اليدِ مغلولةً إلى العُنُق كنايةً عن الإمساكِ، كمَنْ لا يعطي ولا يهبُ شيئًا لبخلِهِ وشُحِّ نفسِهِ، وبسطُ اليدِ كنايةٌ عن إنفاق الإنسانِ كُلَّ ما في وُجْدِهِ، بحيثُ لا يُبقي شيئًا كَمَنْ يبسطُ يدهُ كُلَّ البسطِ بحيثُ لا يستقرُّ عليها، ففي الكلامِ نهيٌ بالغٌ عن التفريطِ والإفراطِ في الإنفاق)). [٤٦]

فالآية بصدد بيان ما يتعلق بحد الاعتدال، أي الوسط بين الإفراط والتفريط، وهو فضيلة بين رذيلتين كما ذكره العلماء في علم الأخلاق. [٤٧]

وذكرت آيات أخرى ما يتعلق بالبخيل وأثره من صفات سلبية، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [٤٨]، وفي صدد بيان المقابلة بين العطاء في الإنفاق، والمنع في البخل قال تعالى في بيان حقيقة الناس في ذلك، ومبيّنًا آثارهما: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [٤٩]، فالآيات جلية في إشارتها إلى تقسيم الناس على صنفين في تعاملهم مع الأموال، وفيها ترغيب على الإنفاق، وتحذير من البخل والشح وما فيهما من آثار على العلاقات الخاصة والعامة. [٥٠]

* ثانيًا: السنة الشريفة:

إنَّ السنة الشريفة قد أكدت على عظمة الكرم والسخاء وأثرهما في التربية، وبناء العلاقات الاجتماعية المختلفة، وأنهما من مكارم الأخلاق التي ينبغي التمسك بها، والدعوة إليها بالقول والعمل، ومن تلك الروايات:

- روي عن النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم): ((السخاءُ شجرةٌ في الجنةِ، فمَنْ كانَ سخيًّا أخذَ بغصنٍ منها، فلم يتركْهُ الغصنُ حتى يدخلَهُ الجنَّةَ، والشُّحُّ شجرةٌ في النارِ فمَنْ كانَ شحيحًا أخذَ بغصنٍ من أغصانِها، فلم يتركْهُ الغصنُ حتى يدخلَهُ النارَ)). [٥١]

- روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((كثرةُ السخاءِ تكثرُ الأولياءَ، وتستصلحُ الأعداءَ)). [٥٢]

- روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((السخاءُ من أخلاق الأنبياءِ، وهو عمادُ الإيمانِ، ولا يكونُ مؤمنٌ إلا سخيًّا، ولا يكونُ سخيًّا إلا ذو يقينٍ وهِمَّةٍ عاليةٍ؛ لأنَّ السخاءَ شعاعُ نورِ اليقينِ، ومَنْ عرفَ ما قصدَ، هانَ عليهِ ما بذلَ)). [٥٣]

إنَّ هذه الروايات الشريفة تؤكد أهمية الكرم والسخاء، وأثرهما في العلاقات الخاصة والعامة، وأهمية تربية الإنسان على بناء الشخصية المتوازنة في جميع تصرفاتها، فالمال نعمة من نعم الله تعالى، ويجب أداء شكر هذه النعمة، وإحدى موارد ذلك الشكر بعد أداء الحقوق الشرعية المتعلقة

به، هو الكرم والسخاء على الإخوان والمؤمنين، وخصوصًا عند حاجتهم إليه، من دون البخل عليهم بنعم الله تعالى، فالبخل طريق من طرق الشيطان في إبعاد الإنسان عن الله تعالى، فضلًا عن هدمه للعلاقات مع الآخرين، وبناء النفس على الأنانية والمصلحة الشخصية، وما في ذلك من مساوىء الأخلاق التي قد ذمَّها العقل والشرع؛ لذلك كان تحذير الإمام السجاد (عليه السلام) من مصاحبة البخيل الذي يخذل صاحبه في أوقات الشدة والعسرة، وقد حذرت الروايات من البخل وممن يتصفون بذلك.

وإنَّ علماء الأخلاق قد ذكروا ما يتعلق بصفتي الكرم والسخاء وما يقابلها من من صفة البخل والأسباب المؤدية إلى ذلك، وطرق العلاج منه. (٥٤)

- المبحث الرابع: العقل وآثاره.

إنَّ الشريعة الإسلامية المقدسة قد آعتنت آعتناءً بالغًا بما يتعلق بالعقل، من حيث حقيقته، ومقامه، وآثاره، ومنزلته وغير ذلك، وفيه إشارة واضحة لأهمية العقل، الذي كرَّم الله تعالى الإنسان به، ولو اننا رجعنا إلى النصوص الإسلامية فيه لاحتاج إلى مجلد كبير للإحاطة به، فضلًا عن كلمات أعلام المسلمين وبحوثهم حوله، ونحاول بإيجاز شديد أنْ نسلط الضوء عليه من خلال مصدري التشريع الإسلامي؛ لبيان أهمية ذلك عند المسلمين، وحثهم على التفكر والتأمل في عظمة الشريعة المقدسة التي تدعو إلى تكريم العقل وتعظيمه.

* أولاً: القرآن الكريم.

إنَّ القرآن الكريم في كثير من آياته المباركة قد ذكر العقل وخاطبهم بـ"أولي الألباب" في موارد متعددة، إشارة منه إلى مكانتهم وأهميتهم في الخطاب الإلهي، ومن ذلك يمكن أنْ نذكر:

- في بيان التفكر في آيات الخالق قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾. (٥٥)

- في بيان آثار التفكر قال تعالى بعد الآية السابقة في صفات أولي الألباب: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾. (٥٦)

وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةُ الْأَحْمَقَ، فَإِنَّهُ يُرِيْدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ. وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةُ الْقَاطِعِ لِرَحِمِهِ. فَإِنِّيْ وَجَدْتُهُ مَلْعُوْنًا فِيْ كِتَابِ اللهِ)).

- في بيان ما يترتب على توجه العقلاء المؤمنين بالدعاء إلى الله وٱستجابته لهم قال تعالى بعد الآيات السابقة: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾. (٥٧)

- في بيان تأثر وتأثير التقوى قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٥٨)، وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَٱتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٥٩)

- في بيان أنهم أهل للذكرى قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٦٠)، وقال تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٦١)

- في بيان أنهم أهل للبشارة والهداية والصلاح قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. (٦٢)

وغير ذلك من الآيات المباركة التي تبين مقامهم ومنزلتهم عند الله تعالى، وما في ذلك من آثار تربوية كبيرة على الإنسان، وعلاقاته الاجتماعية المتعددة، وللمفسرين كلام مهم في ذلك يمكن الرجوع إليه.

* ثانيًا: السنة الشريفة.

إنَّ السنة الشريفة لها نصوص كثيرة جدًّا في العقل وما يتعلق به (٦٣)، فلا تخلو سيرتهم (عليهم السلام) من التذكير بذلك، فمن تلك الأحاديث:

- روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ما قَسَّمَ اللهُ للعبادِ شيئًا أفضلَ من العقلِ، فنومُ العاقلِ أفضلُ من سهرِ الجاهلِ، وإقامةُ العاقلِ أفضلُ من شخوصِ الجاهلِ، ولا بعثَ اللهُ نبيًّا ولا رسولًا حتى يستكملَ العقلَ، ويكونَ عقلُهُ أفضلَ من جميعِ عقولِ أمَّتِهِ، وما يضمرُ النبيُّ صلى الله عليه وآله في نفسه أفضلُ من ٱجتهادِ المجتهدينَ، وما أدَّى العبدُ فرائضَ اللهِ حتى عقلَ عنهُ، ولا بلغَ جميعُ العابدينَ في فضلِ عبادتِهِمْ ما بلغَ العاقلُ، والعقلاءُ هم أولو الألبابِ، الذين قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾)).(٦٤)

- روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((وصفةُ العاقلِ أنْ يحلمَ عَمَّنْ جهلَ عليهِ، ويتجاوزَ عَمَّنْ ظلمَهُ، ويتواضعَ لِمَنْ هو دونَهُ، ويسابِقَ مَنْ فوقَهُ في طلبِ البرِّ، وإذا أرادَ أنْ يتكلَّمَ تدبَّرَ، فإنْ كانَ خيرًا تكلَّمَ فَغَنِمَ، وإنْ كانَ شرًّا سكَتَ فَسَلِمَ، وإذا عُرِضَتْ لَهُ فتنةٌ ٱستعصمَ باللهِ، وأمسكَ يدهُ ولسانَهُ، وإذا رأى فضيلةً ٱنتهزَ بها، لا يفارقُهُ الحياءُ، ولا يبدو منهُ الحرصُ، فتلكَ عشرُ خصالٍ يعرفُ بها العاقلُ)). (٦٥)

- روي عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في وصيته لتلميذه هشام بن الحكم: ((يا هشامُ إن أميرَ المؤمنينَ "عليه السلام" كان يقولُ: إنَّ من علامَةِ العاقِلِ أنْ يكونَ فيهِ ثلاثُ خصالٍ: يجيبُ إذا سُئِلَ،

وينطقُ إذا عجزَ القومُ عن الكلامِ، ويشيرُ بالرأيِ الذي يكونُ فيهِ صلاحُ أهلِهِ، فَمَنْ لم يكنْ فيهِ من هذهِ الخصالِ الثلاثِ شيءٌ فهوَ أحمقٌ، إنَّ أميرَ المؤمنينَ "عليه السلام" قال: لا يجلسُ في صدرِ المجلسِ إلا رجلٌ فيهِ هذهِ الخصالُ الثلاثُ أو واحدةٌ منهنَّ، فمَنْ لم يكنْ فيهِ شيءٌ منهنَّ فجلسَ فهوَ أحمقٌ)). (٦٦)

ومن أعظم ميراث الأئمة (عليهم السلام) في العقل هي وصية الإمام الكاظم (عليه السلام) لتلميذه هشام ٱبن الحكم في العقل، وهي من عيون التراث الإسلامي في ذلك. (٦٧)

إنَّ هذه الأحاديث الشريفة تؤكِّد أولًا على مقابلة العاقل في الجانب الإيجابي للأحمق في الجانب السلبي بصورة عامة، وأهمية وعظمة العقل في الشريعة الإسلامية المقدسة، وتحذير الإمام السجاد (عليه السلام) من مصاحبة الأحمق؛ لأنه لا يملك تلك المقومات المتقدمة التي لها أثر بلاغ في بناء الشخصية، وما يترتب عليه من العلاقات الخاصة والعامة في المجتمع، فتكون صحبته مضرة ووبالًا عليه، وفي هذا كمال التربية الإسلامية في ٱختيار الصاحب والصديق.

- المبحث الخامس: صلة الرحم وآثارها.

إنَّ صلة الأرحام من الموضوعات المهمة التي تم التأكيد عليها في الشريعة المقدسة؛ لما فيها من اثر كبير في الحفاظ على العلاقات الاجتماعية، والتعاون، والمحبة، ونشر مبادىء الخير والسلام، وقد حذرت الشريعة المقدسة في أحكامه من قطع صلة الرحم، وعد من الكبائر التي يفقد المؤمن بها العدالة وما في ذلك من آثار سلبية على الشخصية. (٦٨)

ولأهمية هذا الموضوع نذكر تعليمات الشريعة المقدسة الواردة فيه من الناحيتين الإيجابية والسلبية، وآثارهما؛ لنكون على بينة من أهميته.

* أولاً: القرآن الكريم.

إنَّ القرآن الكريم في عدد من الآيات المباركة قد أكَّد على أهمية صلة الرحم وعظمته، وبيَّنَ آثار هذه الطاعة المباركة، وكذلك بيَّن ما يتعلق بقطيعة الرحم وآثارها، ومن تلك الآيات المباركة:

- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾. (٦٩)

إنَّ الآية الشريفة في بيان صفات أولي الألباب وقد ذكرت عددًا من صفاتهم الإيجابية التي يحافظون عليه، ويتقربون بها إلى الله تعالى، ومنها تمسكهم بما أمرهم الله تعالى فيه من صلة الرحم وغيرهم، فقد ذكر المفسرون أنَّ الآية تتعلق بصلة الأرحام وغيرهم وما في ذلك من ثواب وأثر

عظيم، قال "الزمخشري": ((وأخرجَ ٱبن أبي حاتم وأبو الشيخ، عن قتادة في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ قال: ذكرَ لنا أنَّ نبيَّ اللهِ "صلى الله عليه [وآله] وسلم" كان يقول: "ٱتقوا اللهَ وصلوا الأرحامَ، فإنَّهُ أبقى لكُمْ في الدنيا، وخيرٌ لكُمْ في الآخرةِ"، وذكر لنا أنَّ رجلًا من خثعم أتى النبيَّ "صلى الله عليه [وآله] وسلم" وهو بمكة فقال: أنتَ الذي تزعمُ أنَّكَ رسولُ اللهِ؟ قال: نعم. قال: فأيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى اللهِ؟ قال: الإيمانَ باللهِ. قال: ثم ماذا؟ قال: صلةَ الرحمِ")) [٧٠]، فالروايات التي ٱستدلَّ بها في تفسير الآية المباركة ظاهرة في بيان عظمة صلة الرحم، وأنها من الطاعات التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى، وما فيها من أثر تربوي على النفس، وأهميتها في العلاقات الاجتماعية، وقال السيد "الطباطبائي": ((فالآيةُ مطلقةٌ، فالمرادُ به كُلُّ صلةِ أمرِ اللهِ سبحانَهُ بها، ومن أشهرِ مصاديقهِ صلةُ الرحمِ، التي أمرَ اللهُ بها، وأكَّدَ القولَ في وجوبِها، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [٧١])). [٧٢]

– قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [٧٣] ، فالآية الشريفة تؤكد الأمر الإلهي بالأرحام ورعايتهم ومعاهدتهم، ولا يكون الأمر والنهي إلا لما فيه من خير وصلاح للأمة، قال الشيخ "الطبرسي": ((إنَّ معنى ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ تطلبونَ حقوقَكُمْ وحوائجَكُمْ فيما بينكُمْ بهِ، ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ معناه وٱتقوا الأرحامَ أنْ تقطعوها عن ٱبن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك والربيع، وهو المروي عن أبي جعفر (عليه السلام)، فعلى هذا يكونُ منصوبًا عطفًا على ٱسم الله تعالى، وهذا يدلُّ على وجوبِ صلةِ الرحمِ، وصلةُ الرحمِ قد تكونُ بقبولِ النسبِ، و قد تكونُ بالإنفاق على ذي الرحمِ و ما يجري مجراهُ، وروى الأصبغُ بنُ نباتةَ عن أميرِ المؤمنينَ (عليه السلام) قال: إنَّ أحدكُمْ ليغضبُ فما يرضى حتى يدخلَ به النارَ، فأيُّما رجلٍ منكم غضبَ على ذي رحمةٍ فليمسَّهُ، فإنَّ الرحمَ إذا مَسَّتها الرحمُ ٱستقرَّتْ، وإنَّها متعلقةٌ بالعرشِ تقولُ وتنادي: اللهُمَّ صِلْ مَنْ وصلَني، وٱقطعْ مَنْ قطعَني)) [٧٤]، إنَّ هذا الحديث لا يحتاج إلى بيان في أثر وعظمة صلة الأرحام، ومعاهدتها، وقضاء حوائجها، والحفاظ على هذه الرابطة التي أوجدها بين الناس، وما في ذلك من مواطن البر والمحبة والتعاون.

وقال "الفخر الرازي": ((دلَّ قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ على تعظيمِ حَقِّ الرحمِ، وتأكيدِ النهيِ عن قطعِها، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُواْ أَرْحَامَكُمْ﴾ [٧٥] .... وعن عبد الرحمن ٱبن عوف: إنَّ النبي "صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: "يقولُ اللهُ تعالى أنا الرحمنُ وهي الرحمُ، ٱشتققتُ ٱسمَهَا من ٱسمي، فَمَنْ وَصَلَها وَصَلْتُهُ، ومَنْ قَطَعَها قَطَعْتُهُ")) [٧٦]، فالرحم لها مقام عند الله تعالى وقد أوجب صلتها والحفاظ عليه، وعدم التهاون في ترك هذه العلاقات بين المؤمنين.

* ثانيًا: السنة الشريفة:

إنَّ الروايات الشريفة الواردة في صلة الرحم وقطعها كثيرة، وفيها من الآثار الكبيرة في الدنيا والآخرة، وتحتاج إلى بيان وتذكير دائمًا للحفاظ على ذلك، ومن تلك الروايات:

- روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((صلةُ الرحمِ تعمِّرُ الديارَ، وتزيدُ في الأعمارِ، وإنْ كانَ أهلُها غيرُ أخيارٍ)). (٧٧)

- روي عن النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم): ((ما من ذنبٍ أجدرُ أنْ يعجِّلَ اللهُ تعالى لصاحبِهِ العقوبةَ في الدنيا مَعَ ما يدخرُ له في الآخرةِ من قطيعةِ الرحمِ والخيانةِ والكذبِ، وإنَّ أعجلَ الطاعَةِ ثوابًا لصلةِ الرحمِ، حتى إنَّ أهلَ البيتِ ليكونونَ فجرةً فتنمُو أموالُهُمْ، ويكثرُ عددهُمْ إذا تواصلوا)). (٧٨)

- روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أُوصي الشاهدَ من أُمَّتي، والغائبَ منهم، وَمَنْ في أصلابِ الرجالِ، وأرحامِ النساءِ إلى يومِ القيامةِ أنْ يصلَ الرحمَ، وإنْ كانت منهُ على مسيرةِ سنةٍ، فإنَّ ذلكَ من الدينِ)). (٧٩)

إنَّ هذه الأحاديث الشريفة وغيرها تؤكِّد عظمة تحذير الإمام السجاد (عليه السلام) من مصاحبة القاطع لرحمه، وما في ذلك من آثار على صاحبها، فضلًا عن المساوىء الشخصية والمعنوية التي تترتب على ذلك، وقد أكد ذلك علماء الأخلاق في مؤلفاتهم المفصلة، مع بيان الأسباب التي تؤدي إلى قطيعة الرحم، وسبل علاج هذه الأمراض الفتاكة في المجتمع. (٨٠)

- خاتمة وتوصيات.

من خلال ما تقدم من صفحات البحث توصلنا إلى ما يأتي:

- إنَّ الإنسان هو محور اٌعتناء الشريعة الإسلامية المقدسة، في جميع تشريعاتها في العبادات والمعاملات، وكلها تبغي هدف تحقيق السعادة الشخصية والنوعية له.
- إنَّ الشريعة الإسلامية المقدسة قد أكدت بوضوح تام على أهمية التربية وتهذيب النفس عن رذائل الأخلاق من خلال الآيات المباركة والأحاديث الشريفة، بما يلائم الفطرة الإنسانية، وما يؤكده العقل السليم من العقائد المنحرفة.
- أهمية المنهج الإسلامي في بناء الشخصية الإنسانية، كونه منهجًا إلهيًّا صادرًا من قبل الخالق الحكيم الأعرف بما يحافظ على مخلوقه من الضياع والانحراف.
- إنَّ علماء المسلمين والفلاسفة قد اٌعتنوا بالمباحث الأخلاقية من جميع جوانبها، بما له علاقة بتهذيب النفس، وهذا رصيد معرفي كبير يمكن للبشرية الإفادة منه في صلاح الأمة، بعدما أصابتها تلك الانحرافات الأخلاقية التي تخالف فطرتها.

- إنَّ للإمام السجاد (عليه السلام) تراثًا تربويًّا كبيرًا ينبغي دراسته دراسة تخصصية تحليلية لمضامين أقواله وأدعيته ووصاياه ورسالته للحقوق، للخروج بآراء ونتائج لها أثر بالغ في بيان طرق علاج الأمراض الأخلاقية، وبما يعد منهجًا أخلاقيًّا متكاملاً.
- إنَّ هذه الدراسة تجعل الباب مفتوحًا للباحثين لينهلوا من هذا المعين الصافي الذي يعالج النفس الإنسانية والمجتمع من الناحيتين النظرية والعملية، حيث وجود أحاديث كثيرة تنفع في بحوث تربوية وأخلاقية وإصلاحية، قد أطلع عليها الباحث فاختار واحدًا منها.
- يوصي الباحث بضرورة دراسة الفكر التربوي لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)؛ لأنهم عِدْلُ القرآن الكريم الذي ينجي مَنْ تمسك بهم من الضلال والانحراف العقائدي والأخلاقي.
- يوصي الباحث بأهمية جمع الأحاديث التربوية لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) وترجمتها إلى لغات متعددة؛ لإفادة البشرية منها، فضلاً عن بيان مقامهم وأثرهم في الهداية والتربية والإصلاح.
- يوصي الباحث بوجوب تضمين المناهج الدراسية لهذه الأحاديث التربوية، لبناء جيل له علاقة بتراث أمته العظيم، فضلاً عن تربيته تربية عقائدية إسلامية، والحفاظ عليه من المذاهب المختلفة التي تتعارض مع الشريعة المقدسة في بعض المناهج.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- الآمدي، ناصح الدين أبو الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي (ت٥٥٠هـ/١١٥٥م): غرر الحكم ودرر الكلم، ترتيب وتدقيق: عبد الحسن دهيني، (دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م).

٢- أحمد علي الحاج محمد (الدكتور): علم الاجتماع التربوي المعاصر، (دار المسيرة، عمَّان، ط٢، ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م).

٣- تركية، بهاء الدين خليل: علم الاجتماع العائلي، (دار المسيرة، عمَّان، ط١، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م).

٤- الحراني، الحسن بن شعبة (ت ق٤): تحف العقول عن آل الرسول، تقديم حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٧، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م).

٥- الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ/١٦٩٣م): تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تح: مؤسسة آل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث، (مط مهر، الناشر: مؤسسة آل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث، قم، ط٢، ١٤١٤هـ).

٦- حسين محمد علي طاهر (الدكتور)، علم النفس في رحاب القرآن الكريم والنبي محمد وأهل بيته الطاهرين، (الناشر: مركز الدكتور حسين الطاهر للاستشارات النفسية، الكويت، ط١، ٢٠١٣م).

٧- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م): المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م).

٨- الريشهري، محمد: ميزان الحكمة، تح: دار الحديث، (دار الحديث، الناشر: دار الحديث، قم، ط٢، ١٤١٦هـ).

٩- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الكشاف)، تح: عبد الرزاق المهدي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٢١هـ ٢٠٠١م).
١٠- السيستاني، علي الحسيني (السيد)، منهاج الصالحين، (مط مهر، قم، ط١، ١٤١٤هـ).
١١- الشريف الرضي، محمد بن الحسين (ت٤٠٦هـ/١٠٦٨م): نهج البلاغة، شرح: الشيخ محمد عبده، (مط النهضة، الناشر: دار الذخائر، قم، ط١، ١٤١٢هـ).
١٢- الشيرازي، ناصر مكارم: الأخلاق في القرآن، (مؤسسة أم أبيها، بغداد، ط١، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م).
١٣ ـــــ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م).
١٤- الطباطبائي، محمد حسين بن محمد (السيد) (ت١٤٠٣هـ١٩٨٢م): الميزان في تفسير القرآن، تص: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م).
١٥- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (الشيخ) (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): مجمع البيان في تفسير القرآن، تح: لجنة من العلماء والمحققين، قدَّم له: السيد محسن الأمين العاملي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م).
١٦- الطريحي، فخر الدين بن محمد علي (ت١٠٨٥هـ/١٦٧٤م): مجمع البحرين ومطلع النيرين، تح: السيد أحمد الحسيني، (مط جايخانه طراوت، طهران، ط٢، ١٣٦٢ش).
١٧ - عباس ذهبيات: دور العقيدة في بناء الإنسان، (مط ستارة، الناشر: مركز الرسالة، قم، ط٢، ١٤٢٦هـ).
١٨- الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين (ت٦٠٤هـ/١٢٠٧م): التفسير الكبير، تص: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م).
١٩- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ/٧٨٦م): العين، تح: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، تص: أسعد الطيّب (مط أسوة، قم، ط٢، ١٤٢٥هـ).
٢٠- الفضلي، عبد الهادي (الدكتور) (ت١٤٣٤هـ/٢٠١٣م): أصول الحديث، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م).
٢١- الكاظمي، عماد: القرآن الكريم وآثاره في تربية الإنسان والمجتمع -دراسة موجزة في سورة الإسراء، (معالم الفكر، بيروت، ط١، د.ت):
٢٢- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ/٩٤١م): الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (مط حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٤، ١٣٦٥ش).
٢٣- المتقي الهندي، علاء الدين المتقي بن حسام الدين (ت٩٧٥هـ/١٥٦٧م): كنز العمال، تصحيح: الشيخ صفوة الصفا، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، د.ط).
٢٤- المجلسي محمد باقر (ت١١١١هـ/١٦٩٩م): بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م).
٢٥- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرَّم (ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، (دار صادر، بيروت، ط١، د.ت).
٢٦- النراقي محمد مهدي (الشيخ) (ت١٢٠٩هـ/١٧٩٥م): جامع السعادات، تحقيق وتعليق: السيد محمد كلانتر، تقديم: الشيخ محمد رضا المظفر، (دار النعمان للطباعة والنشر، النجف، د.ط، د.ت).
٢٧- ابن ورام، أبو الحسن ورام با أبي فراس المالكي (ت٦٠٥هـ)، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، (مط جديدي، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٢، ١٣٦٨ش).

الهوامش:

(١) سورة الإسراء: الآية ٩

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧

(٣) تركية، بهاء الدين خليل: علم الاجتماع العائلي ص٨٩

(٤) سورة آل عمران: الآية ١١٠ ، وقد ذكرتُ آيةً واحدةً كمثالٍ لاعتناءِ التشريعِ الإسلاميِّ بالفردِ والأسرةِ والمجتمعِ، والقرآنُ أغلبُهُ إنْ لم يكنْ كُلُّهُ قد نظَّمَ أُسُسَ العلاقاتِ عندَ الثلاثةِ.

(٥) إنَّ هناك أحاديث كثيرة وردت في ذلك، ومنها ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في بيان حقوق سبعة من حقوق المسلم على المسلم يجب أنْ يحافظ عليها، وإلا خرج من ولاية الله تعالى، وهذه الحقوق -حقيقة- من أعظم مفردات التربية الفردية والاجتماعية في النظام الإسلامي. ينظر: الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، ١٦٩/٢ باب (حق المؤمن على أخيه وأداء حقه) الحديث ٢

(٦) حسين محمد علي طاهر، علم النفس في رحاب القرآن الكريم والنبي محمد وأهل بيته الطاهرين ص٦٤-٦٥

(٧) أحمد علي الحاج محمد: علم الاجتماع التربوي المعاصر ص٥٩

(٨) ومن المؤلفات والبحوث المعاصرة التي يمكن مراجعتها في ذلك لبيان تنظيم تلك العلاقات على وفق التشريع الإسلامي مثلاً (الطفل بين الوراثة والتربية، والشباب بين العقل والعاطفة للشيخ محمد تقي فلسفي) و(آداب الأسرة في الإسلام للسيد محمد سعيد العذاري) و(دور العقيدة في بناء الإنسان للأستاذ عباس ذهبيات) وغيرها من المؤلفات المتعددة، المطولة أو الموجزة.

(٩) الحراني، الحسن بن شعبة: تحف العقول ص١٩٩

(١٠) للتفصيل في كيفية تكييف الإنسان في مجتمعه ينظر: علم الاجتماع التربوي المعاصر ص٨٤-٨٥

(١١) لسان العرب مادة (صدق).

(١٢) المفردات في غريب القرآن ص٢٨٧ (صدق)

(١٣) وهو أنْ يأتي بالعمل بلا تكلف أو روية، وقد بيَّن الشيخ محمد مهدي النراقي ما يتعلق بها، وعلاقتها بالأخلاق بتفصيل. ينظر: جامع السعادات ٤٦/١

(١٤) سورة آل عمران: الآية ١٦٤

(١٥) سورة إبراهيم: الآية ١

(١٦) سورة المائدة: الآية ١١٩

(١٧) الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤٦٢/٣

(١٨) سورة التوبة: الآية ١١٩

(١٩) التفسير الكبير وفي الرواية درس تربوي في طريقة التعامل مع الآخرين في الدعوة إلى الصلاح والمعروف، فضلاً عن أثر الصدق في الإيمان والاتباع للنظام الإنساني والإسلامي.

(٢٠) المتقي الهندي: كنز العمال ٣٤٤/٣

(٢١) الريشهري، محمد: ميزان الحكمة ١٥٧٣/٤ باب (الصدق) الحديث ١٠١٨٢

(٢٢) الآمدي: غرر الحكم ٢١٢٠

(٢٣) ينظر: ميزان الحكمة ١٥٧٢/٤-١٥٧٤ باب (الصدق) ، فقد وردت لهذه الآثار وغيرها كثير من الروايات الشريفة عن المعصومين (عليهم السلام).

(٢٤) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار ٩/٦٨

(٢٥) أبن ورام، تنبيه الخواطر ١٢١/١

(٢٦) للتفصيل ينظر: ميزان الحكمة ٢٦٧٢/٦-٢٦٨٢ باب (الكذب). وقد وردت في الكذب وآثاره من الروايات ما تقشعر منه الأبدان، وتشمئز منه النفوس، ولا يخفى أثر ذلك على النفس من الناحيتين المعنوية والمادية.

(٢٧) ينظر: الفضلي، عبد الهادي، أصول الحديث ص١١١-١١٢

(٢٨) الفراهيدي، الخليل بن أحمد: العين مادة (فسق).

(٢٩) المفردات في غريب القرآن ص٣٩٥ (فسق).

(٣٠) المصدر نفسه ص٣١ (أمن).

(٣١) سورة الحجرات: الآية ٧

(٣٢) محمود بن عمر: تفسير الكشاف

(٣٣) سورة الحج: الآية ٣٨

(٣٤) سورة المنافقون: الآية ٦

(٣٥) سورة المائدة: الآية ٢٦

(٣٦) كنز العمال ٣٧/١

(٣٧) ميزان الحكمة ٢٠٧/١ باب (الإيمان) الحديث ١٤٣٤

(٣٨) الكافي ٢٢٩/٢ باب (المؤمن وعلاماته وصفاته) الحديث ١

(٣٩) دور العقيدة في بناء الإنسان ص٤٢-٤٣

(٤٠) سورة النمل: الآية ٤٠

(٤١) المفردات في غريب القرآن ص٤٤٧ (كرم).

(٤٢) مجمع البحرين

(٤٣) لسان العرب مادة (بخل).

(٤٤) سورة الإسراء: الآية ٢٩

(٤٥) لقد أستعرضت ما يتعلق بهذه الصفة من آثار سلبية على النفس الإنسانية واثرها على العلاقات العامة للتفصيل ينظر: الكاظمي، عماد: القرآن الكريم وآثاره في تربية الإنسان والمجتمع -دراسة موجزة في سورة الإسراء ص٤٠-٤٣

(٤٦) الميزان في تفسير القرآن ٨٢/١٣

(٤٧) ينظر: جامع السعادات ٧٦/١-٨٠ ، وقد ذكر الشيخ النراقي ٠قدس سره) ما يتعلق بعدد كبير من الصفات من حيث الإفراط والتفريط وما يتعلق بحد الاعتدال بينهما.

(٤٨) سورة الحديد: الآية ٢٤

(٤٩) سورة الليل: الآيات ٤-١١

(٥٠) للتفصيل ينظر: الشيرازي، ناصر مكارم: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٩٨/٢٠-٢٠١

(٥١) كنز العمال ٣٩٢/٦

(٥٢) غرر الحكم

(٥٣) بحار الأنوار ٣٥٥/٦٨

(٥٤) للتفصيل ينظر: جامع السعادات ٨٧/٣-٩٥ ، الأخلاق في القرآن ٣٣٧/٢-٣٦٧

(٥٥) سورة آل عمران: الآية ١٩٠

(٥٦) سورة آل عمران: الآيات ١٩١-١٩٤

(٥٧) سورة آل عمران: الآية ١٩٥

(٥٨) سورة المائدة: الآية ١٠٠

(٥٩) سورة البقرة: الآية ١٩٧

(٦٠) سورة الرعد: الآية ١٩ وقد ذكرت الآيات التي بعدها بعضًا من صفاتهم.

(٦١) سورة إبراهيم: الآية ٥٢

(٦٢) سورة الزمر: الآيتان ١٧-١٨

(٦٣) ينظر: ميزان الحكمة ٢٠٣٢/٥-٢٠٥٧ باب (العقل)

(٦٤) الكافي ١٣/١ باب (كتاب العقل والجهل) الحديث ١١

(٦٥) تحف العقول ص٢٧

(٦٦) الكافي ١٩/١ باب (كتاب العقل والجهل) الحديث ١٢

(٦٧) ينظر: تحف العقول ص٢٨١-٢٩٥ ، وقد كرر فيها الإمام قوله (يا هشام) واحدًا وثمانين مرة وشرحت بعض ما يتعلق بهذه الوصية المباركة بعنوان (حديث العقول) ونشرها بعض الحلقات في مجلة (منبر الجوادين) في العتبة الكاظمية المقدسة/ ومجلة (الروضة الحسينية) في العتبة الحسينية المقدسة لسنة ٢٠١٦م، والعمل قائم لإتمام شرحها كاملة إن شاء الله تعالى.

(٦٨) ينظر: السيستاني، علي: منهاج الصالحين.

(٦٩) سورة الرعد: الآية ٢١

(٧٠) تفسير الكشاف

(٧١) سورة النساء: الآية ١

(٧٢) الميزان في تفسير القرآن ٣٤٥/١١

(٧٣) سورة النساء: الآية ١

(٧٤) مجمع البيان في تفسير القرآن ٨/٣-٩

(٧٥) سورة محمد: الآية ٢٢

(٧٦) التفسير الكبير

(٧٧) ميزان الحكمة ١٠٥٥/٣ باب (الرحم) الحديث ٧٠٥٢

(٧٨) كنز العمال ٣٦٨/٣

(٧٩) الكافي ١٥١/٢ باب (باب صلة الرحم) الحديث ٥

(٨٠) ينظر: جامع السعادات ١٩٧/٢-٢٠١